II الأسعار فلسفة حياة

obeikandl.com

obeikandl.com

الأسعار فلسفة حياة

كان المسافرون من مجتمعنا في الماضي القريب «قبل ثلاثين سنة» عندما يعودون - خاصة من البلدان الغربية- بانطباعاتهم ومشاهداتهم ، أكثر ما يثير دهشتهم عمران المدن ووسائل النقل والمخترعات، وكذلك طبيعة التعامل البشري، أما الآن فبدأت هذه الروايات تفقد بريقها؛ لأنه أصبح لدينا مثلما لديهم أو أفضل من المباني والطرق والأجهزة، وأصبح أكثر حديث العائدين عن الأسعار في البلدان الأوروبية، فأسعار السلع والخدمات في تلك البلدان هي صدمة لمن لم يسبق له السفر هناك مؤخراً ، والعائدون من السفر للمرة الأولى يبدؤون الحديث عن الأسعار باندهاش، ويضطرون أحياناً إلى طلب الشهادة من بعض المرافقين أو الاستعانة بفاتورة؛ لإثبات صدقهم، وينتهي غالباً هذا المجلس بحمد الله وشكره على ما أنعم علينا من رخص الأسعار وسهولة الحصول على السلع والخدمات.

شكر الله -عز وجل- واجب على كل حال، وليس من العقل إنكار أو تجاهل ما فوق المادة من أسباب لا نعلمها، وتصنف بأحيان كثيرة في خانة «البركة» إلا أنه مع تسليمنا بكل هذا لا بد أن نسأل أنفسنا عن الأسباب التي جعلت بلاداً رغيدة، مثل البلدان الأوروبية تصل فيها أسعار السلع والخدمات إلى هذا المستوى، وهذه ثلاثة أمثلة بسيطة:

obeikandl.com

الصنف	متوسط السعر على مدار العام "الرياض"	متوسط السعر على مدار العام "مدينة أوروبية"
علبة ماء صحة ٣٠٠ ملم	١ ريال	٧ ريالات
كيلو طماطم	٥ ريالات	٢٢ريالاً
مشوار ربع ساعة في سيارة أجرة	٢٠ريالاً	١٣٠ريالاً

تستطيع أن تستمر في القائمة دون اللجوء إلى الإحصاء، وتستطيع القول: إن أي سلعة أو خدمة في البلدان الأوروبية تقدم بخمسة أضعاف قيمتها في دول الخليج، ما الذي يجعل بلدان الأنهار والبحيرات تبيع للمستهلك المياه المعبأة بهذا السعر، والسؤال نفسه على بقية السلع؟ في رأيي أن هناك ثلاثة أسباب فلسفية تكمن وراء الموضوع:

الأول / الاستدامة: تفكر الشعوب المتحضرة في إدارة حياتها بطريقة مستدامة، بمعنى أنها تستهلك مصادرها وثرواتها الطبيعية بطريقة تكفل استدامتها، ومن ثم تضع لهذه الثروات أسعاراً (من خلال الضرائب المضافة أو تكلفة الحصول على المادة الخام) تكفل الاستهلاك الرشيد لها، وتضبط القوانين العامة مسألة الاستدامة، فأخشاب غابات السويد على سبيل المثال تدار بطريقة تكفل بقاءها واستدامتها، بحيث إن ما يقطع منها يعوض بنمو البديل.

ثانياً/ المساواة: تضع هذه الدول حدًّا أدنى للأجور ومستوى السكن بجعل تكلفة العنصر البشري في أي منتج (سلعة أو خدمة) مرتفعاً، سواء كان عامل بقالة أو نادلاً في مطعم، وفي مقابل ذلك تقوم العمالة الوافدة الرخيصة جدًّا بإنتاج وتسويق السلع والخدمات في الدول الخليجية.

وفيما يخص قطاع النقل بالذات تتنافس الدول الأوروبية على رفع نسبة استخدام النقل العام، وتطور من آلياته التي تدعم هذا التوجه، وقد حضرت مؤتمراً عن النقل العام في فلندا عام ٢٠٠٧م، فدهشت لحجم الجهود التي تبذل لدعم الناس

وتشجعهم على استخدام النقل العام، وقد وصل الأمر إلى أن أصبحت أزيد من ٨٠٪ من الرحلات اليومية في مدينة مثل باريس عن طريق النقل العام ومن الآليات المطورة ما وضعته مدينة لندن من حزام إلكتروني حول وسط لندن تدفع بموجبه السيارات التي تعبر هذا الحزام رسماً ماليًّا، ومما يثير الدهشة أن بعض البلديات الأوروبية الآن تتفاوض مع أصحاب مشروعات المباني بطريقة عكس ما يتم في بلداننا، حيث يسعى المطور لزيادة عدد المواقف، وتضغط البلدية في الاتجاه المعاكس رحمة بالناس والبيئة من سلطة السيارة الخاصة، وينظر هناك إلى النقل العام بوصفه أحد مظاهر المساواة، وهو بحق من أهمها فلا شيء يثير الشعور بالتكافؤ مثل استخدام وسيلة نقل عام؛ إذ السيارات الفخمة تستفز أحياناً ذوي الدخول المتدنية.

ثالثاً/ البيئة : صدم العالم الغربي بالآثار المدمرة للبيئة التي سببتها الثورة الصناعية، وفطن منذ عقود عدة إلى الأخطار الكبيرة التي تهدد هذا الكوكب من انبعاث الغازات واحتراق الوقود الأحفوري، ومنذ ذلك الوقت وحكومات تلك الدول تسن التشريعات، وتهتم بهذا الأمر على المستوى الوطني والدولي على الرغم من تمنع بعض تلك الحكومات مثل الولايات المتحدة الأمريكية من التوقيع على المعاهدات التي تحدّ من هذه الانبعاثات، وقد أصبحت البيئة أحد أكثر الشؤون العامة أهمية بالنسبة إلى العالم المتحضر، ودخلت الضرائب الموجهة للإصحاح البيئي في معظم المنتجات، ومن ثم رفعت تكاليف السلع والخدمات، ومما يثير الإعجاب أن قيمة التخلص الآمن من ثلاجة أو غسالة أو سيارة في اليابان تضاف مقدماً على ثمنها، بحيث تذهب هذه الأموال إلى الجهات المعنية بإدارة النفايات الصلبة.

وقد يلاحظ الزائر لهذه البلدان أن الناس تستهلك حاجتها فقط، ولا تبذر، ولا تعبث بالأطعمة أو تتسلى بقيادة السيارات، كما يحدث عندنا، إذاً فالأسعار فلسفة حياة.

obeikandl.com